قراءة لنصوص الديوان

الناقدالأدبي/ إبراهيم عمار

ناقد أدبى – ماجستير فى النقد الأدبى –جامعة القاهرة

سيظل شعر العامية له بريق خاص وسحره الذى لاينتهى لقدرته على التعبيروتقديم صورة حية لحياة الناس بمفردات حياتية معاشة والدخول فى موضوعات متعددة ومختلفة تمس بشكل كبير واقع الناس ومعاناتهم وطموحاتهم ،أحزانهم وأفراحهم ببساطة ودون تكلف بالإضافة للموسيقى الداخلية والخارجية للنص والذى تعطى له مذاقا خاصا، إذا ما تمكن الشاعر من أدواته وتحققت له ناصية البيان وخبرات واسعة بحياة الناس والتجربة التى يعبر عنها.

وقد تكون التجربة حالة خيالية يصورها لنا الشاعر من خلال ذهنيته واسعة التخيل أو واقع معاش ،وهنا تصدق التجربة مع الإحساس ويتحقق فيها التكامل الفنى وهذا ما أجده فى الديوان الثانى للشاعر أحمد الباز، الذى قدم لنا منذ عام ديوانه الأول (هذيان مغترب) والذى كان مفاجأة لنا أن يصل الشاعر لتلك المرحلة من النضج مع تجربته الأولى والتى حوت مجموعة متميزة من الأعمال التى عبرت

عن حالة الغربة والبعد عن الوطن والفراق ، ومايعانيه المغترب فى غربته ولكن جاء الديوان الثانى مختلفا كثير عن تجربة الشاعرالأولى التى كانت صرخة استغاثة بينما نجد فى ديوان (شوية هدوء) ومن بداية اختيار العنوان أننا أمام حالة مختلفة غير صاخبة تدعو للتأمل والهدوء والبحث عن معانى أكثر جمالية فى عالم أحمد الباز فقد ضم الديوان أربع وعشرون قصيدة عامية تفاوتت فى الطول وتنوعت فى المضامين لكن الحالة الشعورية ربما كانت واحدة فقد إلتزم الشاعر فى الديوان حالة من التفكير والذهنية وإعادة قراءة الواقع بشكل مغاير وهى نظرة أكثر عمقا وفلسفة للحياة

(و إيه في الدنيا دي أجمل / من شوية هدوء/ تقعد فيها مع نفسك/ تفكر لو مافيش أمسك/ و لو بكره غابت شمس/ إيه يعني راح يفرق/ وإيه في الدنيا دي هيسوء)

هذه الحالة نجدها فى أكثرمن قصيدة داخل الديوان وكأنها إعادة قراءة لمشهد الحياة يحاول الشاعر جاهدا من خلاله أن يلفت انتباهنا لحقيقة توصل إليها من خلال فلسفة الحرف وهندسة الكلمات فنجده يقول فى قصيدة (خلى الأحلام فى الأيد) :

(خلي الأحلام في الإيد / علشان تحقيقها يهون / ونحقق منها أكيد / الممكن و المضمون / و نسافر ليه بخيالنا /

بكره الدنيا هاتحللنا / دا القادر علي تحقيقها / رب مهيمن ع الكون / ارسم حلمك بسماحه / علي مهلك كدا براح / املاه كله بالفرح / و ابعد عن أي ظنون)

نجد هنا الشاعر قد وصل لقناعات فكرية كاملة وأراد ان يبثها لنا من خلال كلماته التى جاءت معبرة تماما عن حالته الشعورية وقد استخدم ألفاظا مناسبة جدا (يهون / ممكن / مضمون / سماحة / مهلك / براح / ظنون) وهى مفردات تعبر عن حالة الذهنية والتعقل التى يفكر بها الشاعر وكأنه وصل لمرحلة النضوج والقناعات الثابتة التى أفرزتها التجارب التى مر بها وهى نفس الحالة التى نجدها فى قصيدة (لما سافرت زمان) بل أراها ترجمة حقيقية لحالة الشاعر وقناعاته التى وصل إليها

(لفيت في كل مكان/ بدور علي نفسي/ جوايا كام وسواس/ وسألت كل الناس / حد سامع همسي/ ملقيتش أي جواب/ حسيت بإني سراب/ بكره كما أمسي / سفري مكانش هروب/ قدري وكان مكتوب/ يا دنيا ما تنسي)

إنها خلاصة التجربة ولعل تلك القناعات كثيرا ما يتوصل لها الناس بعد فوات الأوان أو بعد رحيل العمر ليقف عن النقطة الفاصلة ويكتشف سرا من أسرار الحياة الغامضة أن كل شيء فى هذا العالم لايستحق كل هذا الصراع الذى يحياه

الإنسان مع نفسه وغيره من أجل البقاء وهو خلاصة ما توصل له الشاعر أحمد الباز

(لفيتك بطول و بعرض/ لا لقيت مكان ع الأرض/ و لا حتي في كرسي/ حاولت ألاقي مكان/ عشاق كتير م الجان/ و من بني جنسي/ حسيت كبير غلطي/ و رجعت أنا بعبطي/ أدور علي نفسي)

وبأسلوب ساخر نتوقف أمام واحدة من أهم قصائد الديوان بل إنى أراها فنيا نقلة كبيرة فى مسيرة الشاعر أحمد الباز وضعته فى قائمة شعراء العامية المميزين ، فنجده يتفوق على ذاته ويشحذ كل خبرته فى قصيدة (المزاد) التى جاءت فى قالب نقدى ساخر على حياة الفرد منا وطموحاته وأحلامه التى تتكسرأمامه على صخر المستحيل (مين يشتري أحلام/ بحالتها ع الزيرو/ متقولش عامله كام/ كاوتشها بخيره/ شاليها أنا عندي/ ما اتحركت سنتي/ و الحلم لما يموت/ ببدله بغيره / لسه المزاد مفتوح/ معروض ألم و جروح/ هجر و عذاب و دموع/ و فراق ما منه رجوع)

تصوير رائع للحلم بالخردة التى تباع فى مزاد علنى ويروج لها صاحبها بالحيل المكشوفة بمرارة التعبير التى جاءت من خلال المفردات التى امتلأت مرارة وحسرة (يموت - ألم - جراح - هجر- عذاب – دموع – فراق) ويمضى الشاعر فى هذا النص المبدع حمله(مين يشتري حلمي/ اللي ملوش تفسير/ فوق النجوم أطلع/ أسبح مع العصافير

وكما أسلفنا أن هذا الديوان هو نقلة نوعية فى كتابات أحمد الباز فهو ما نجده أيضا فى الإتجاه الرمزى الذى راح يأخذه الشاعر فى استلهام قصص تاريخية لشخصيات رمزية ويصنع من حكاياتها مزيجا لحالته الشعورية يعبر على لسانها ومن خلال حكايتها عن ما يجول بنفسه وتلك الحالة هى تتويجا للحالة التأملية الاستكشافية التى وصل لها الشاعر فى رحلة البحث عن الذات والتعبير التجربة فنجد قصيدة بعنوان (إيزادورا) وهي استلهام للأسطورة التاريخية لشهيدة الغرام (إيزادورا) ابنة حالكم انتبيوبوليس (المنيا حاليا) بمصر الإغريقية والتى عاشت قصة حب طاهرة بريئة مع الضابط (حابي) أحد أبناء الشعب المصرى البسطاء ، وظلت علاقتهما ولقاءتهما ثلاث سنوات فى هدوء ونقاء حتى علم والدها فقرر منعها ولما لم تفلح حيلها قررت أن تنهى أن ترى حبيبها (حابى) ولو للمرة الأخيرة فقررت أن تهرب من حراسها وتتخفى الخلاق وكأنه يقذف فى وجه الحياة بحمم من الألم محاولا التخلص من هذه الأحلام الضائعة والعودة خفيفا من وتذهب لتلقاه فى ذات المكان و كان لقاء الوداع فقد تركته دون أن تخبره بما عزمت عليه وذهبت نحو النهر فلما بلغت منتصفه راحت تغوص فيه بأمان ،فلما علم والدها ندم ندما شديدا وبنى لها مقبرة فخمة خلد فيها ذكراها- تم اكتشافها مؤخرا فى تونة الجبل بالمنيا- بينما

تقول الأسطورة أن حبيبها حابى كان يذهب لها كل ليلة يشعل شمعة بجوار قبرها ويبقى معها حتى الصباح حتى لاتظل وحدها طوال الليل تلك الأسطورة الخالدة استطاع الشاعر أن يعبر عنها ببراعة من خلال كلماته وجمله الشعرية المتميزة.(نزلتي بإرادتك/ لحد قاع النيل/ يمكن هموم قلبك/ تدوب في فيضانه/ وكل البنات بعدك/ تفرح بألوانه/ و يحكوا في حكايتك/ ويقولوا كان يا ما كان/ بنت الملك عشقت/ حارس و كان ددبان/ مكانش أصله أميرو لا أبوه سلطان / بنت الملك قالت/ الموت لحابي بديل/ بنت الملك كانت/ أجمل عروسة نيل) حياتها فالحياة بدون حبيبها لاقيمة لها ولكن قبل الوداع كان لابد لها وفى إطار الأسطورة الرمزية يأتينا أحمد الباز بأسطورة أنيسيا شهيدة الحب والجنون تلك الفتاة التى كانت خادمة لزوجة (الأمير بيدور) وريث عرش (قشتاله) والذى أحبها بعد وفاة زوجته وأنجب منها أطفاله فلما علم والده (الملك الفونسو) لم يقبل أن يرتبط ابنه بخادمة من عامة الشعب فقرر قتلها بدم بارد أمام أبنائها ولم يرحم توسلاتها ولا فزع أبنائها وقام النبلاء بقتلها تنفيذا لقرار الملك وهنا قرر الأمير بيدور الانتقام من قتلة حبيبته من النبلاء ، فلما مات (الملك الفونسوا) أصبح (بيدور) هو الملك استخرج جثمان حبيبته (أنيسيا) وكانت قد أصبحت جيفة ووضعها على العرش وأعلن أنها الملكة وأتى بالنبلاء كى يبايعونها ويقبلون

يدها ففعلوا ما يريد ،إن تلك الأسطورة التى تظهر لنا الوفاء بكل معانيه والخسة والندلة واستبداد الانسان وهو ما أراد الشاعرالتعبير عنه فى تلك الصورة الشعرية وقد صور ذلك الرسام الروسى كارل بارلوف ففى رائعته (أنيسيا) تلك الملحمة الرائعة وهاهو شاعرنا واسع الطلاع يعيد لنا القصة فى أسلوب شيق وبمفردات عامية راقية ليعيد لنا القصة التاريخة عن الحب والوفاء : (إنيسيا دي مش وهم/ ولا سطر في حكاية/ تتغني ع النايات/ إنيسيا بنت الفقر/ دي حقيقه لو تدروا/ جارية في بلاط القصر/ عشقها الأمير بدرو / إصرار أبوه و الرفض/ خلاه يزيد إصرار/ و دي فرصة للنبلاء/ و الحاشية م الأشرار/ راحوا لحد القصر/ وقدموا التقرير/ حكم الملك نافذ/ بالقتل و التشهير/ و المسألة هاتفوت/ ولا حد بعد الموت/ عليها راح يسأل/ رافعين عليهم سوط/ و منه راح يجروا) فى نهاية هذه القراءة السريعة لنصوص الديوان أستطيع القول بأن الشاعر أحمد الباز قدم لنا فى هذا الديوان تجربة مغايرة عن تجربته

الأولى امتازت بالنضج والتطور والتنوع الكبير واستطاع أن يضع له قدما بين شعراء العامية المتميزين فى مصر وأن حضور هذا الديوان سيكون مميزا وأتمنى أن يحظى بالإهتمام وأن يقدر من القراء والنقاد